الفُروقُ الدَّلالِيَّةُ
بَيْنَ الأَلْفَاظِ المُتَرَادِفَةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيم
فِي ضَوءِ الحُقُولِ الدّلالِيَّة

أ.د.عبد الكاظم الياسري م.د. ناصر عبد الإله دوش

كلية التربية للبنات –جامعة الكوفة

فحوى البحث

يمثل البحث جانباً من جوانب الدرس القرآني الذي لفت أنظار الدارسين قديماً وحديثاً. وقد عني الباحثان بالكشف عن الفروق الدلالية الدقيقة بين الألفاظ في الاستعمال القرآني مستفيدين من نظرية (الحقول الدلالية في علم اللغة الحديث).

وقد جرى اختيار عينات من الألفاظ في ستة من الحقول الدلالية ومنها:

- الانسان وما يتصل به.
- الكون وما يتصل به.
- الزمن ومايتصل به.

وقد اخذ الباحثان بمنهج الاختيار ولم يستوعب البحث كل ماورد في عنوان الحقل من الألفاظ مستعينين بما تقدم من دراسات الدارسين في هذا الميدان الواسع.

مدخل

الترادف والفروق الدلالية

نحن أمام ظاهرتين لغويتين هما الترادف والفروق الدلالية وكلاهما يدخل في ميدان البحث الدلالي وقد كُتِبَ فيهما كثيراً. ووصف العلماء الترادف بأنه إفراغ المعنى في قوالب متعددة [١] وتعد هذه الظاهرة من مظاهر الاتساع في اللغة ودليل على ثرائها، ولهذه الظاهرة حدود متقاربة ذكرها العلماء، قال السيوطي (ت٩١١هـ) (الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد)[٢]. وهو عند المحدثين ألفاظ متحدة المعنى قابلة للتبادل بينها في أي سياق[٣] ولحدوث هذه الظاهرة أسباب وللعلماء فيها مواقف ليس هذا محلها إذ يمكن الرجوع إليها في مظانّها[٤].

أما الفروق الدلالية فهو باب واسع من علم الدلالة وهو يتصل اتصالا مباشراً بدلالة المفردات اللغوية التي تستعمل في سياقات الكلام، إذ يمنح السياق بقرائنه نوعاً من الدلالة الخاصة للمفردات التي تدخل فيه فيشير إلى الغرض أو الداعي المضموني من استعمال هذه المفردة دون رديفتها أو نظيرتها مما هو بمعناها أو قريباً منها والفرق في اللغة بمعنى الفصل بين شيئين والتمييز بينهما[٥].

يقول: (بن فارس: ت٣٩٥هـ) (الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز تنزيل بين شيئين)[٦] وقد استعملت لفظة الفرق في القرآن الكريم بالمفهوم اللغوي نفسه قال تعالى﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٥٠]. وقال تعالى ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الشعراء: ٦٣] ومنه قوله تعالى ﴿ فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقًا ﴾[سورة المرسلات: ٤] يعني الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل[٧] وجاء في المفردات فرقت بين الشيئين فصلت بينهما سواء أكان ذلك بفصل يدركه البصر أم بفصل تدركه

(١) الفروق في اللغة/ ١٠.
(٢) المزهر١/ ٤٢.
(٣) دور الكلمة في اللغة.
(٤) علم الدلالة أحمد مختار عمر ٢٣٣ وعلم الدلالة التطبيقي في التراث/ ٤٩٢.
(٥) العين ٥/ ١٤٧.
(٦) مقاييس اللغة ٢/ ٣٥٠.
(٧) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني/ ٧. وينظر الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٨٧.

البصيرة ومنه قوله تعالى ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[٨].

أما عند الدارسين المحدثين فهو ظاهرة من ظواهر اللغة ويراد منه عملية الفصل بين المعاني الدقيقة التي يلتمسها اللغوي بين الألفاظ المتقاربة دلالياً فَيُظَنُّ ترادفها لخفاء تلك الدقائق المضمونية إلا على متكلمي اللغة الأقحاح[٩].

لقد كانت فكرة الفروق الدلالية ملحوظة عند علماء اللغة القدماء لكن كثرة الاستعمال ومرور الأزمان وتقادم العهد أصاب هذه الألفاظ نوع من التطور والتداخل وأصبح الناس يستعملونها بمعنى واحد غير مكترثين بما بينها من فروق ولا مراعين التباين فيها بحسب أصلها في اللغة إهمالاً لها أو جهلاً بها فكان أن ترادفت ألفاظ عديدة على معنى واحد[١٠].

وفي ضوء هذا يمكن تفسير موقف عدد من العلماء من ظاهرة الترادف ومحاولتهم إيجاد الفروق بين الألفاظ التي تبدو في ظاهرها مترادفة وتركوا في ذلك تراثاً ضخماً من كتب الفروق ومنها كتاب أبي هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ)وهو يحمل عنوان (الفروق في اللغة) صراحة.

ويبدو أن فكرة الحقول الدلالية التي قال بها الغربيون وأقاموا عليها دراساتهم في علم اللغة الحديث مستمدة من جهود علماء العرب القدامى، فقد وجدت أن التراث العربي ينطوي على جهود علمية مرموقة في صلب الحقول الدلالية؛ وإن لم يستعملوا هذا المصطلح، وقد تمثل ذلك في كتب المعاني والصفات مثل كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ). (الغريب المصنف)، وكتاب (الألفاظ) لابن السكيت ٢٤٤هـ، (وأدب الكاتب) لابن قتيبة ٢٧٦هـ وتوج ذلك بكتاب (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي[١١].

وفي ضوء ما تقدم نجد أمامنا ميدانين من ميادين دراسة هذه الظاهرة هما اللغة و القرآن الكريم صحيح أن القرآن الكريم

(٨) المفردات/ ٣٧٧.
(٩) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني/ ٧.
(١٠) الترادف في اللغة/ ٢٢٢.
(١١) ينظر دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني/ ١١٦.

نزل بلغة العرب، و قد نص القران نفسه على ذلك في أكثر من آية لكن الأسلوب القرآني وطريقة نظمه واستعمال الألفاظ فيه له خصوصية تميزه من استعمال أرباب اللغة العربية، و إذا جاز المستعمل للغة العربية التناوب بين الأدوات على حين أن هذا غير وارد في سياق التعبير القرآني ذلك بأن ألفاظ القرآن قد استُعْمِلَتْ بطريقة من النظم مميزة إذ تعبر فيها كل مفردة عن دلالة؛ لا يمكن أن تحل محلها مفردة أخرى و تؤدي دلالتها، ومن هنا نشأت فكرة هذا البحث، فالقرآن الكريم ضم في آياته ضروباً من الألفاظ التي تبدو في ظاهرها مترادفة أو متقاربة في المعاني وهي كذلك في الاستعمال اللغوي لكنها في القرآن استعملت بشكل آخر، ومن يقرأ في كتاب الله يبدو له أن هذه الألفاظ تدل على معنى واحد وهي من المترادفات والحال ليست كذلك؛ بل تؤدي كل لفظة منها دلالة خاصة لا يمكن لغيرها من الألفاظ أن تؤديها مهما كانت قريبة منها، ودلالة هذا يمثل جانباً من جوانب الإعجاز القرآني في حيثية استعمال المفردات، وقد بَدَا من خلال التتبع والموازنة بين طائفة من الآيات القرآنية التي وردت فيها مثل هذه الألفاظ أن القرآن الكريم كان دقيقاً في استعمال هذه المفردات في سياق الآيات الكريمة، من هنا ينبثق التساؤل الذي نحاول الإجابة عنه هو لماذا استعمل القرآن (سنة مرة وعاماً مرة، وجاء مرة وأتى مرة، وَقلْبُ مرة وفؤاد مرة). ما الغرض من هذا التنوع في الاستعمال حتى على مستوى الآية الواحدة، وهل يمكن أن نستبدل إحدى الكلمتين بالأخرى في السياق نفسه. لقد رأينا أن نجيب عن الفروق منطلقين من المدلولات إلى الدوال لكي نستشف من كل مدلول دلالته الدقيقة التي يؤديها في السياق الذي استعمل فيه وعليه سنعمد إلى جمع الدوال التي تنتمي إلى مدلول واحد لتمثل حقلاً دلالياً تتصل به جميعاً، ثم نبدأ البحث عن الفروق من خلال الاستعمال و التكرار لكل لفظ ينتمي إلى واحد من الحقول التي نحددها، بقي أن نشير إلى أن منهج هذه الدراسة يعتمد الانتقاء في مفردات كل حقل وليس الاستيعاب الشمولي للألفاظ كلها التابعة للحقل.

الحقل الأول

الألفاظ الدالة على الإنسان وما يتصل به

لقد أولى القرآن الكريم الإنسان عناية كبيرة وخصه بالخطاب من خلال الأنبياء والرسل الذين تواتروا منذ بدء الخليقة، وكان الله سبحانه وتعالى يوجّه خطابه في الكتب المقدسة إلى الأنبياء والرسل ومن خلالهم إلى الإنسان في مختلف أنحاء الدنيا وإذا كان الخطاب في الكتب المقدسة التي سبقت القرآن يخص طوائف بعينها فإن الخطاب القرآني كان شاملاً -جميع الناس في الأرض، وقد تنوع الخطاب القرآني للإنسان فخاطب المؤمنين والمسلمين والكفار وأقوام الديانات الأخرى، واشتمل هذا الخطاب المعجز على كل ما يخص الإنسان أو ما يتصل به من دعوات وتوجهات و تشريعات وحياة وموت وبقاء وفناء وزوال ومرض وصحة وأموال وأولاد وثواب وعقاب وأرض وسماء؛ لأن الله تعالى جعله خليفة في الأرض، كما أشار إلى ذلك في خطابه للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠] والألفاظ التي تخص الإنسان أو تتصل به في القرآن كثيرة جداً ولسنا معنيين بإيرادها جميعنا بل نختار منها ما يبدو في ظاهرة مترادفاً أو متقارباً في الدلالة ونكشف عن دقائق الفروق بينها في الاستعمال القرآني.

١. الجسد = الجسم:

الجسد والجسم لفظان من الألفاظ التي لهما دلالة واحدة في الظاهر. وقد وردت لفظة الجسد في القرآن في أربع آيات منها قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[سورة طه: ٨٨] وقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨] وقوله﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [سورة ص: ٣٤] ووردت لفظة الجسم في آيتين هما قوله تعالى ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧] وقوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤] ويبدو واضحاً من خلال الاستعمال القرآني أن لكل منهما دلالةُ، فالجسد لفظ يطلق على كل هيكل ويستعمل في غير العاقل وهو أوسع من أن يحصر في جسم الإنسان ويمثل الهيئة

أو الصورة التي لا روح فيها ولا حياة ولا تأكل ولا تشرب[١٢] فالعجل صورة لا روح فيها ولا تأكل ولا تشرب لهذا عبر عنه بالجسد أما الجسم فيطلق على العاقل الحي وعلى هذا فالجسد مع الروح يشكلان الأجسام في الكائنات الحية وتطلق لفظة الجسد على الإنسان بعد خروج الروح إذ فقدان الحياة يتحول الجسم إلى جسد؛ وبهذه الدلالة وردت لفظة(جسم) في القرآن. وفي ضوء هذا يمكن أن نفسر قولنا في زيارة أهل البيت (السلام على أجسامكم وعلى أجسادكم، أو قولنا السلام على الجسد السليب).

ومن هنا نجد أن الجسم يقترن بما فيه الحياة وفيه دلالة على القوة والعجب وهو واضح في الآيتين اللتين استعملت فيهما لفظة الجسم أما الجسد فهو البنية الخارجية للإنسان من دون روح.

٢. القلب = الفؤاد:

من الألفاظ التي بينها ترادف في اللغة وإنْ كان لكل منهما أصل مختلف في الاشتقاق فالفؤاد في أصل اللغة يدل على شدة الحرارة ومنه فَأَدتُ اللحم بمعنى شويتُهُ[١٣] والقلب سمي قلباً لتقلبه بالخواطر والعزوم[١٤] وهما يعدهما من الجوارح في جسم الإنسان يمثل الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته أو سويدائه.

وردت لفظة قلب في القرآن في (١٣٤) آية بصيغ مختلفة أفراداً وتثنيةً وجمعاً، تعريفاً وتنكيراً ووردت لفظة فؤاد في[١٥] (٢٤) موضعاً بصيغة الإفراد والجمع تنكيراً وتعريفاً. ويبدو من خلال استقراء ما ورد في الاستعمال القرآني أنه يذكرهما على سبيل الاستعمال المجازي وتنصرف كل واحدة منهما إلى عدد من المعاني يحددها السياق الذي تستعمل فيه.

ولم تردا بوصفهما جارحتين تؤديان وظائف فسلجية[١٦]، لقد استعمل القرآن المفردتين بوصفهما مواطن كسب الخير والشر ومواطن الشعور والتعقل ومواطن التأثر بالأفكار والمعتقدات. يقول أحد الباحثين (الفؤاد ألطف ما في الجسد على

(١٢) مقاييس اللغة ٢/ ٣٣٨.

(١٣) المفردات/ ٤١١.

(١٤) دقائق الفروق اللغوية/ ١٠٦.

(١٥) المصدر نفسه/ ١٠٧.

(١٦) دقائق الفروق اللغوية/ ٩٩.

الإطلاق لذا عُبر به عن جميع البدن لأنه أشرف ما في البدن وذلك بقوله سبحانه ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧].

وهو أشد تألماً بأدنى أذى يمسه حتى قيل أن الفؤاد سريع التأثر بما يفجأ الإنسان من الفزع والخوف)[١٧]. والفؤاد أسرع من القلب في اكتساب الأفكار سواء أكانت جيدة أم رديئة وقيل عنه أنه محل العقائد المنحرفة والنوايا السيئة؛ ومن هنا جاء تسليط العذاب على الفؤاد قال تعالى ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴾ [سورة الهمزة: ٦ -٧].

إن استعمال القرآن للمفردتين في سياق الآيات يدل على أن بينهما فرقاً واضحاً في الدلالة فهما ليسا بمعنى واحد وإنما لكل منهما دلالة، وقد اجتمعا في آية واحدة هي قوله تعالى ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا ﴾[سورة القصص: ١٠].

إن سياق الآية يوحي بأن الفؤاد يمثل مركز الأحاسيس و المشاعر و لذا كادت أن تبدي بمشاعرها عند إحساسها بفقدان ولدها أما القلب فيرتبط بالعقل و التفكير لذا جاء سياق الآية يشير إلى الربط عليه و قد استند العلماء إلى عدد من السياقات التي استعملت فيها المفردتان و منها:

١. القلب:

يستعمل في الدلالة على مواطن الجَلَد والقوة و التفكير و الصبر، يمثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٩] وقوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾[سورة الشعراء: ١٩٣] و لأنه محل التفكير و التدبر وقع عليه الختم قال تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾[سورة البقرة: ٧] وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾ [سورة الأنعام: ٢٥].

٢. الفؤاد:

يمثل مركز الإحساس و المشاعر واكتساب الأفكار وهو محل الوساوس فقد استعمل بهذه الدلالة في السياق القرآني قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[سورة الفرقان: ٣٢] وقوله

(١٧) الفروق اللغوية/ ١١٩.

﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[سورة الإسراء: ٣٦]. وقوله ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧].

وقوله ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ [سورة القصص: ١٠]. فالفؤاد مركز الأحاسيس الذي اضطرب عند أم موسى بعد إلقائه في البحر وكادت تظهر ما فعلته لولا أن ربط الله على قلبها الذي يمثل مصدر العقل فعادت إلى التفكير يدل على ذلك قولها لأخته في الآية التالية (قصي أثره).

٣. زوج = بعل:

لفظة زوج تقال لكل واحد من القرينين من الذكر و الأنثى من الحيوانات المتزاوجة وردت لفظة زوج في القرآن الكريم للدلالة على الرجل و المرأة يقول أحد الباحثين (فحكمة الزوجية في الإنسان و سائر الكائنات الحية هي اتصال الحياة بالتوالد و في هذا السياق يكون المقام زوج..)[١٨] قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[سورة النساء: ١]. وقوله ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة النجم: ٤٥].

استعملت لفظة زوج في القرآن على مختلف استعمالاتها في أكثر من ثمانين موضعاً أما لفظة (بعل) فقد وردت في ستة مواضع كانت في واحد منها تمثل اسم صنم للعرب قوله تعالى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٢٥]، وتبدو المفردتان في الظاهر مترادفتين غير أن الاستعمال القرآني يفرق بينهما في سياق الآيات التي دخلت في تركيبها المفردتان. فالبعل هو رب الشيء ومالكه، والبعال: الجماع، والبعل هو المعيل والكفيل والملاعب والبعل يكون زوجاً و الزوج يصير بعلاً إذا تعطلت فيه معاشرة الزوجة وملاعبتها لأي سبب؛ ولذا اقترن ذكره في القرآن بالإشارة إلى تعطل العلاقة العاطفية قال تعالى ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾

(١٨) الرسالة التامة في فروق اللغة العامة/ ١٣٩.

[سورة البقرة: ٢٢٨]. سمي الزوج بعلاً في مدة ما بين وقوع الطلاق وبين الرد وهي مدة تتم فيها الإعالة ولا يجوز فيها الجماع. وكذلك استعمل القرآن لفظة بعل حين تتعطل العلاقة بإعراض الزوج عن زوجته قال تعالى ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا ﴾[سورة النساء: ١٢٨].

وكذلك حين تتعطل العلاقة بالشيخوخة قال تعالى ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ﴾[سورة هود: ٧٢]. وارتبطت بإبداء الزينة أمام الزوج قال تعالى ﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[سورة النور: ٣١] وإبداء الزينة تهيئة للجماع. أما لفظة زوج فقد ارتبطت بتلك العلاقة الشرعية الدائمة وبهذا المفهوم استعمل القرآن الكريم لفظ زوج في حديثه عن آدم وزواجه من حواء وفي حديثه عن نساء النبي قال تعالى ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[سورة البقرة: ٣٥]. وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾[سورة الأحزاب: ٢٨] وقال تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[سورة الأحزاب: ٦].

وبهذا المفهوم من التفريق بين لفظتي زوج و بعل استعمل القرآن كل واحدة منهما في السياق الذي تدل عليه وتعبر فيه عن الدلالة المقصودة.

٤. الوهن = الضعف:

وهما لفظان يتصف بهما الإنسان في بعض أحواله وهما متقاربان في المعنى في اللغة واستعملا في القرآن في مواضع مختلفة وكان القرآن دقيقاً في استعمال المفردتين. وردت لفظة الوهن في سبعة مواضع أما الضعف فقد استعملت في أكثر من خمسين موضعاً والضعف ضد القوة وهو من فعل الله كما أن القوة من فعل الله قال تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[سورة النساء: ٢٨].

أما الوهن فيراد به فعل الضعيف نقول وهن في الأمر يهن وهناً وهو واهن إذا أخذ فيه أخذ الضعيف ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾[سورة آل عمران: ١٣٩] أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء[١٩].

(١٩) دقائق الفروق اللغوية/ ١٧٩.

ولا يقال خلقه الله واهناً كما يقال خلقه الله ضعيفاً. ويقال أن الوهن هو انكسار الجسد بالخوف ونحوه والضعف نقصان القوة[٢٠] وقد يكون الوهن في العظم ومنه قوله تعالى ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾[سورة مريم: ٤] والظاهر من سياق الاستعمال القرآني أن الوهن يغلب استعماله في الأمور المعنوية تقول العرب في الأمر وهن ومنه استعماله في العظم ومنه قوله ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ [سورة العنكبوت: ٤١].

وقد اجتمع الضعف مع الوهن في قوله تعالى ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٤٦]. وهذا الاستعمال يدل بما لا يقبل الشك أن الوهن تختلف دلالته عن الضعف.

٥. العقل = اللب:

العقل و اللب لفظان وردا في القرآن الكريم في عدد من الآيات و يبدو من خلال سياقات الاستعمال أن النص القرآني يستعمل كلاً منهما في دلالة معينة و خطاب العقل في القرآن يتمثل في نوعين[٢١]. الأول هو العقل الغريزي المقابل للجنون و يمثل القوة المتهيئة لقبول العلم فهو الذي يقوم بادراك أمور الحياة التي يعيشها الإنسان ومنها قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٣]. أما الآخر فهو العقل المكتسب المقابل للجهل وعدم الفهم وهو مناط التمييز والتكريم ويطلق على العلم الذي يستفيده الإنسان بهذه القوة العاقلة وهو ما يمدح به الإنسان أو يذم وهو المقصود في كل مواضع ذم الله فيه الكافرين ومنه قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧١].

أما اللب فهو العقل الخالص من الشوائب وخالص كل شيء لبه ولب كل الثمار داخله ولب الرجل ما جعل في قلبه من عقل لذا قيل هو باطن العقل[٢٢] ورد لفظ اللب في القرآن بصيغة الجمع

(٢٠) المصدر نفسه/ ١٨٠.

(٢١) روح المعاني/ ١٣/ ٧٣.

(٢٢) الإتقان ١/ ١٣١.

في كل السياقات التي استعمل فيها وجاء مضافاً إلى طوائف من أهل الصفاء الروحي المكتسب من التقوى ولم يرد في القرآن مخاطبة الكفار بالألباب ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧] وقوله تعالى ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]، ومثل ذلك في [سورة البقرة: ١٩٧]، و [سورة المائدة: ١٠٠] و[سورة آل عمران: ١٠٩] وفي ضوء ما ورد في سياق الآيات التي وردت فيها المفردتان تكون العلاقة بينهما علاقة عموم و خصوص فاللب هو ما زكا من العقل فكل لب هو عقل وليس كل عقل لباً[٢٣].

لقد كان القرآن دقيقاً في استعمال هاتين المفردتين فقد استعمل كلاً منهما في الموضع الذي يتناسب مع دلالته.

٦. قبر = جدث:

وهما مما يتصل بنهاية الإنسان ولم يفرق أهل اللغة بينهما فالجدث هو القبر، وينسبون الاختلاف إلى اللهجات فالجدث بلغة أهل الحجاز هو القبر وهناك من يقول جدف بالفاء[٢٤].

وردت لفظة (جدث) في القرآن الكريم في ثلاث آيات هي قوله ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [سورة يس: ٥١] وقوله تعالى ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [سورة القمر: ٧] وقوله ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [سورة المعارج: ٤٣]. ويبدو من خلال ما تقدم أن لفظة (جدث) وردت بصيغة الجمع وجميعها تتصل بالبعث والنشور.

أما لفظة (قبر) فقد وردت في ستة مواضع هي وما يتصل بها قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [سورة عبس: ٢١]، وقوله ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [سورة التوبة: ٨٤] وقوله ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [سورة الحج: ٧] وقوله ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [سورة الانفطار: ٤]. ويبدو من خلال سياق هذه الآيات التي استعملت

(٢٣) دقائق الفروق اللغوية/ ١٤٣.

(٢٤) دقائق الفروق اللغوية/ ١٢٨ وينظر الفروق اللغوية/ ٢٤٨.

فيها لفظة قبر كلها تتصل بالحياة الدنيا وهذا يعني أن القبر يتحول إلى جدث في الحياة الآخرة ومن هنا يكون الجدث مقترناً بالقبر الذي ينبعث منه صاحبه. والقبر اسم يدل على حدوث الإقبار للميت بعد موته فهو قبر بدخول صاحبه فيه وجدث بخروجه منه عند البعث. فالقبر هو حدوث الإقبار في الدنيا وهو ما صرحت به الآيات التي استعملت فيها هذه المفردة هذا من جانب ومن جانب آخر يختلف القبر عن الجدث من حيث الهيأة إذ القبر من عمل الإنسان فتحدث البعثرة عليه عند اختلال الكون لقيام الساعة وعند النفخ بالصور لا تبقى للقبر صورته بل هو جدث ينسل منه صاحبه[٢٥].

الحقل الثاني

الألفاظ التي تتصل بالكون

يمثل الكون كل ما يحيط بالإنسان وهو حقل واسع يضم مئات المفردات التي تتصل بالظواهر الطبيعية وحركة الأشياء، وقد اشتمل القرآن الكريم على طائفة من الألفاظ التي تتصل بهذه الظواهر وبعضها يمثل نوعاً من الترادف أو تقارب المعاني في اللغة؛ بيد أن القرآن الكريم كان دقيقاً في سياق استعمال هذه المفردات؛ ليؤدي كل منها دلالة لا يؤديها الآخر، وقد اخترنا في هذا الحقل عدداً من الألفاظ التي تتصل بهذا العنوان لنبين الفروق الدقيقة بينها في الاستعمال القرآني.

أ. نجم = كوكب:

النجوم والكواكب من المفردات التي استعملت في النص القرآني مفردة أو مجموعة وهما من المفردات المترادفة في اللغة، استعمل القرآن لفظة كوكب في خمس آيات وردت بصيغة الجمع في آيتين هما قوله تعالى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [سورة الصافات: ٦] وقوله ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [سورة الانفطار: ٢] وبصيغة المفرد في ثلاث آيات هي ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [سورة النور: ٣٥] وقوله ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾، وقوله ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [سورة يوسف: ٤] أما لفظة النجم فقد وردت في ثلاث عشرة آية منها ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[سورة

(٢٥) المصدر نفسه/ ١٢٩.

النجم: ١] وقوله ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[سورة الطارق: ٢ -٣] وقوله ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٦] وقوله ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]، ويبدو من خلال الاستعمال القرآني أن الكواكب تعني الأجرام الثابتة وكونها زينة يعني أن صفتها الثبات وعدم الانقضاء لأنها لو انقضت لانتقضت زينة السماء وهكذا هي ثابتة إلى قيام الساعة عندها تنتثر كما ورد في سورة الإنفطار بقول أحد الباحثين (الكواكب أجرام سماوية مضيئة بذاتها أي أنها كتل نارية كالشمس ثابتة مركوزة في الأفلاك كالفص في الخاتم)[٢٦]، وقد وصفها القرآن بالإضاءة قال تعالى﴿ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أي مضيء.

وبخلاف ذلك النجوم فهي شهب غير ثابتة متغيرة الأحوال فهي لا تلبث أن تسقط من السماء قال تعالى ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ وسبب سقوطها أنها أجرام هامدة ليست كالكواكب، وسميت نجوماً باعتبار الظهور والطلوع إذ هي متغايرة يطلع منها ويغرب بعضها وقد استُعملت في الاهتداء[٢٧] وهي تحتاج إلى معرفة ودراية بمواقعها لأنها غير ثابتة.

ب. مطر = غيث:

المطر والغيث من الألفاظ المترادفة في معجمات اللغة، ولم يفرق علماء اللغة بين دلالة المفردتين، لكنهما في الاستعمال القرآني لم يكونا بدلالة واحدة؛ بل استعمل القرآن كل واحدة منهما في دلالة معينة وردت لفظة (مطر) ومشتقاتها في ست عشرة آيةٌ ولفظة غيث وردت في خمس آيات، وقد اقترن استعمال الغيث بالنماء والحياة وأصله من الغوث وهو الإعانة ولم يرد الغيث إلا في مواطن الرحمة والبشرى قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝٣٤ ﴾ [سورة لقمان: ٣٤]، وقوله ﴿ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾[سورة الحديد: ٢٠].

فكل السياقات التي وردت فيها لفظة (غيث) جاءت مقترنة بالرحمة و إحياء

(٢٦) البيان و التبيين ١/ ٢٠.

(٢٧) دقائق الفروق اللغوية/ ١٣٢.

الأرض، من هنا سمته العرب الحيا وقرن الجاحظ اختصاصه بالرحمة بخفة لفظه[٢٨] أما المطر فهو الماء المنسكب قد يكون نافعاً أو ضاراً وقد اقترنت به الإشارة إلى الضرر[٢٩] وقد يقترن بغضب الله على الأقوام فيكون نزوله بحلول غضب الله فهو موضع انتقام من الأمم الكافرة قال تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[سورة الأعراف: ٨٤]، وقال تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [سورة هود: ٨٢] وقال تعالى ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٧٣] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾[سورة الفرقان: ٤٠] وكذلك في [سورة النساء: ١٠٢] [سورة الأحقاف: ٢٤].

ج. غمام = سحاب:

وهما مفردتان استعملهما القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة؛ فقد وردت لفظة السحاب في تسع آيات ووردت لفظة الغمام في أربع آيات، ويبدو من خلال السياقات التي استعملت فيها المفردتان أنهما ليسا بدلالة واحدة بل كل واحدة منهما أدت دلالة في سياق استعمالها مغايرة لدلالة أخرى وإن كانتا في الظاهر متقاربتين في الدلالة.

الغمام سمي بهذا الاسم لأنه يستر السماء وهو سحاب أبيض ليس فيه ماء[٣٠] وبمعنى الستر والتغطية ورد في الآيات الكريمة مثل قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ [سورة البقرة: ٥٧] ومعنى الآية أن الله جعل الغمام وهو السحاب الأبيض الذي ليس فيه ماء ظلة لبني إسرائيل في تشبيهم يقيهم الحر[٣١] لكن هذا لا يعني أن الغمام يستعمل بهذه الصورة دائماً وإنما يأتي أيضاً في موضع العقاب فيحجب السماء عن الأرض قال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠] وقوله تعالى ﴿ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾[سورة الفرقان: ٢٥].

(٢٨) المفردات/ ٣٦٥.
(٢٩) دقائق الفروق اللغوية/ ١٣٠.
(٣٠) دقائق الفروق اللغوية/ ١٣٠.
(٣١) دقائق الفروق اللغوية/ ٢٣٢.

أما السحاب فقد استعمل في دلالات تختلف عما تقدم وسمي سحاباً لانسحابه وحركته مع الهواء وهو غيم يحمل المطر فهو يتراكم بين السماء والأرض ويحمله الهواء إلى مناطق مختلفة وكثيراً ما يقترن بإحياء الأرض وسقيها قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ ﴾[سورة الأعراف: ٥٧] وقال تعالى ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤] مثل ذلك ما ورد في [سورة الرعد: ١٢] و [سورة النور: ٤٣] و [سورة الطور: ٤٤]، قال أحد الباحثين والسحاب المسخر والثقال والركام كله يراد به الرحمة ونزول الماء[٣٢] ومن خلال ما تقدم يتضح لنا الفرق الدلالي بين المفردتين في الاستعمال القرآني.

د. ريح = رياح:

من الظواهر التي تتصل بالكون ظاهرة الرياح التي يسخرها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون الواسع وقد استعمل القرآن الكريم مفردة الرياح بصيغتين هما (الريح و الرياح) في عدد من الآيات القرآنية وردت لفظة (ريح) في ثماني عشرة آية في حين استعملت لفظة (رياح) في عشر آيات ومن خلال سياق الاستعمال القرآني للمفردتين؛ نجد أن كلاً منهما قد استعمل بدلالة تخالف دلالة الآخر وقد استعملت لفظة ريح في آيتين بدلالة تختلف عن دلالتها المعروفة من خلال استعمال المجاز قال تعالى ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾[سورة يوسف: ٩٤] وقوله ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[سورة الأنفال: ٤٦].

لم ينظر علماء اللغة إلى الفرق في الدلالة بين مفردتي ريح ورياح فهما من الألفاظ المتقاربة في الدلالة في اللغة غير أن الباحثين في الفروق الدقيقة بين الألفاظ وجدوا أن الاستعمال القرآني للمفردتين يجعل بينهما فروقاً في الدلالة من خلال السياق الذي ترد فيه كل واحدة منهما فقد اقترنت لفظة الريح بكل ما يدل على العذاب والشدة والقوة ومن ذلك قوله تعالى ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ ﴾ [سورة يونس: ٢٢] وقوله ﴿ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ [سورة الإسراء: ٦٩] وقوله

(٣٢) المصدر نفسه/ ٢٣٢.

﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٧]، ولم ترد للدلالة على ما فيه الخير والرخاء إلا في آية واحدة واقترنت مع العذاب وذلك في قوله تعالى ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [سورة يونس: ٢٢].

أما لفظة رياح فقد اقترن استعمالها بما فيه الخير والنماء والحياة وصلاح الإنسان و الأرض ومنه قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[سورة الأعراف: ٥٧] وقوله تعالى ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[سورة النمل: ٦٣] ويروى عن الرسول ﷺ أنه كان يقول (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً).

ويبدو لنا أن المسألة ليس من المقطوع فيها فهي نسبية في هذا الأمر فالغالب في استعمال لفظة الريح أن يكون مقترناً مع العذاب والأذى والغالب في استعمال الرياح هو الخير والصلاح.

الحقل الثالث

الألفاظ الدالة على الأفعال

تمثل الأفعال باباً واسعاً من أبواب اللغة، وقد استعمل القرآن الكريم عدداً كبيراً من الأفعال التي تمثل الأحداث، وهناك طائفة من الأفعال لها دلالات مترادفة أو متقاربة، وفي هذا الحقل الدلالي سوف نعرض عدداً منها تلك التي تستعمل في اللغة بدلالة واحدة؛ لكنها استعملت في السياق القرآني بدلالات متباينة.

أ. جاء = أتى:

الفعلان في ظاهرهما لهما دلالة واحدة وقد وردا في القرآن في آيات كثيرة تجاوزت المئات ومن اللافت للنظر أن الفعل (جاء) على الرغم من وروده في أكثر من أربعمائة موضع لم يستعمل إلا بصيغة الماضي؛ أما الفعل (أتى) فقد استعمل في مواضع كثيرة ولكنه ورد بمختلف الصيغ فقد ورد ماضياً ومضارعاً وأمراً. و الملاحظ أن بين الفعلين فروقاً دلالية في الاستعمال القرآني وإن اشتركا في الدلالة على الإقبال والقدوم وقد أجمل الدارسون الفرق بينهما بما يأتي:

١. يختلف الفعلان في البنية خفةً وثقلاً فالفعل (أتى) أخف إيقاعاً من الفعل (جاء) لذا استعمل بمختلف الصيغ

الفعلية في القرآن، في حين لم يرد الفعل (جاء) إلا بصيغة الماضي فقط على الرغم من كثرة استعماله.

٢. الفعل (جاء) يكثر استعماله في المحسوسات والأعيان في حين يكثر استعمال الفعل (أتى) في الأمور المعنوية مثل قوله تعالى ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [سورة يوسف: ٧٢] وقوله ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[سورة يوسف: ١٨].

٣. (جاء) تستعمل للدلالة على القرب مكاناً أو زماناً في حين تستعمل (أتى) للبعد زماناً ومكاناً ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾[سورة مريم: ٢٧] وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ﴾[سورة يوسف: ٥٠].

٤. يستعمل أتى في سياقات يكتنفها الغموض والشك وجاء في سياقات فيها حقيقة ويقين ومنه قوله تعالى ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ [سورة طه: ١٠].

٥. (جاء) يستعمل لما فيه مشقة وصعوبة (وأتى) يستعمل لما فيه يسر وسهولة قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة ق: ١٩]وقوله ﴿ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢٧] وقوله ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [سورة الإسراء: ٨١].

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن وقوع المتشابه بين اللفظين يقرب صورة الفرق خير تقريب[٣٣] ففي قوله تعالى ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[سورة النحل: ١] وقال ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة غافر: ٧٨].

قال في النحل ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ وقال في غافر ﴿ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ وبتدقيق النظر يتضح الفرق بين التعبيرين فالمجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء و خسران، في حين لم يزد في الآية الأولى على الإتيان[٣٤] وقال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ [سورة طه: ١١] وقال ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ ﴾ [سورة النمل: ٨] ويعود

(٣٣) المصدر نفسه/ ٢٣٢.
(٣٤) المفردات/ ٤٦٩.

ذلك إلى أن ما قطعه موسى على نفسه في النحل أشق وأصعب مما هو في القصص وطه إذ تقدم فيهما لفظ (لعل) في حين لم يتقدم هذا في سورة النحل[٣٥].

ب. سعى = مشى:

السعي والمشي مفردتان بينهما تقارب في الدلالة وقد استعملت لفظة (سعى) ومشتقاتها في ثلاثين آية في القران الكريم في حين وردة لفظة (مشى) في ثلاث وعشرين آية ويبدو من خلال سياق استعمال المفردتين أن السعي والمشي يختلفان في الدلالة ويعزز هذا الاستعمال كل منهما في السياق القرآني وقد تنبه العلماء والدارسون إلى دقة الاستعمال القرآني لكل من المفردتين إذ يذكر الراغب الأصفهاني أن المشي يعبر عن جنس الحركة ويمثل الانتقال من مكان إلى آخر، أما السعي فيستعمل للإسراع في المشي[٣٦].

يقول أحد الباحثين (والسعي له دلالته المجازية في الكتاب العزيز فضلاً عن جنس الحركة فهو يأتي للدلالة على القصد والرأب في العمل كما فيه من معنى الشد والإسراع فهو يرد مجازاً في السعي للآخرة وطلبها إذ العمل الصالح يحتاج إلى جد وقصد. قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[سورة الإسراء: ١٩][٣٧].

أما المشي فيمثل جنس الحركة وعادة ما يرتبط بالهدوء والبطء وليس فيه معنى الإسراع وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [سورة لقمان: ١٩] وقال ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣] وقال الرسول ﷺ (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وائتوها تمشون وعليكم السكينة)[٣٨].

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا الفرق بين الفعلين (سعى ومشى) في الاستعمال القرآني؛ إذ كثيراً ما يرتبط السعي بالمجاز وطلب الآخرة في حين يمثل المشي نوع

(٣٥) دقائق المفردات اللغوية/ ٢٢٨.
(٣٦) صحيح البخاري ١/ ٢١٨ وينظر دقائق الفروق اللغوية/ ٢٢٩.
(٣٧) دقائق الفروق اللغوية/ ٢٤٧.
(٣٨) البحر المحيط ٢/ ٣٦٧.

الحركة والانتقال كذلك يكون السعي فيه سرعة واجتهاد وجد بخلاف المشي الذي فيه إبطاء وسكينة.

ج. كسب = اكتسب:

الفعلان من مادة واحدة أحدهما مجرد هو كسب والثاني مزيد هو اكتسب وقد استعمل القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة فقد ورد الفعل كسب ومشتقاته في أكثر من ستين آية أما الفعل اكتسب فقد ورد في أربع آيات وقد اجتمعا في قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

ولا شك أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى ويبدو من سياق الآية أن الكسب يستعمل لما فيه الخير والاكتساب لما فيه الشر قال أحد الباحثين (فكان فعل الاكتساب أبلغ من الكسب إذ فيه اعتمال وتصرف واجتهاد)[٣٩].

وهذا هو معنى صيغة افتعل ويبدو أن لفظ الاكتساب أثقل من الكسب إذ إن (الحسنات مما يكتسب دون تكلف إذ كاسبها على جادة أمر الله... والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى عنه ويتخطاه إليها)[٤٠] ويبدو أن الكسب أكثر سعة من الاكتساب لأن الكسب يحتمل الخير و الشر ويستعمل في طلب الرزق وغيره ومن ذلك قوله ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [سورة البقرة: ٨١] وقوله ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ [سورة الزمر: ٤٨] وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٧].

أما الاكتساب فلا يقع إلا فيما يتصل بارتكاب السيئات و الآثام ومنه قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨] ومن هنا جاء استعمال القرآن الكريم للفعلين في سياقات تبين دلالة كل واحد منهما.

(٣٩) روح المعاني/ ٤٨٨.

(٤٠) دقائق الفروق اللغوية/ ١٥٩.

الحقل الرابع

ما يتصل بألفاظ العقائد و الثواب

ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ العقائد الدينية كثير، وهو حقل واسع ضم طائفة من الألفاظ التي تتصل بالعقائد الدينية وما يتصل بها من دلالات وما تعبر عنه من معانٍ في سياق الآيات التي وردت فيها، ويدخل في هذا ما يترتب على هذه العقائد من ثواب وعقاب وقد ضم القرآن طائفة من الألفاظ في هذا الميدان متقاربة المعاني أو مترادفة في ظاهرها وقد اخترنا منها ما يكثر استعماله لبيان الفروق الدلالية بينها من خلال سياق الاستعمال في آيات القرآن الكريم ومنها:

أ. ملة = دين:

الملة والدين مفردتان وردتا في عدد من الآيات القرآنية، فقد وردت لفظة (دين) في خمسة وتسعين موضعاً استعملت منها مفردة أو مضاف إلى غيرها، أما لفظة (ملة) فقد وردت في سبعة عشر موضعاً استعملت مضافة إلى نبي أو قوم أو ضمير.

واللفظان متقاربان في الدلالة ويطلقان على ما هو حق مثل دين الإسلام وملة الإسلام وما هو باطل مثل دين المجوس وملة المشركين[٤١]، (والملة) في اللغة تعني السنة أو الطريقة ثم استعيرت للدلالة على عقائد الشرع[٤٢] وقد أصبحت هذه المفردة نتيجة للتطور الدلالي اسماً لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء؛ لذا نجدها تضاف إليهم ومن ذلك ملة إبراهيم قال تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠] ومثل ذلك في [سورة النساء: ١٢٥] وفي [سورة البقرة: ١٣٥] و [سورة آل عمران: ٩٥]و [سورة الأنعام: ١٦١] ولا تكاد (الملة) تضاف إلا إلى نبي لأنها تقال اعتباراً بمن يؤدي الشرع عن الله[٤٣].

أما الدين فهو من الدين بمعنى الجزاء لذا نجده يقال اعتباراً بمن يقيمه أو يعمل به وحين يطلق لفظ الدين فهو يعني الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب. ويمكن أن نجمل الفروق بين

(٤١) دقائق الفروق اللغوية/ ١٥٩.
(٤٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٩٤.
(٤٣) دقائق الفروق اللغوية/ ١٦٧.

المفردتين بما يأتي:

١. الدين يضاف إلى الله والنبي، وآحاد العباد أما الملة فلا تضاف إلى الله فلا يقال ملة الله وإنما تضاف إلى النبي أو إلى قوم ومنه قوله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٣].

٢. الملة ما دعا الله عباده إلى فعله، وإتباعه، والدين ما فعله العباد عن أمره فهو يرتبط بالشرائع[٤٤].

ب. الشرعة = المنهاج:

وردت المفردتان في قوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: ٤٨]. ويبدو من سياق الآية أن بين المفردتين فرقاً في الدلالة لأن العطف يقتضي المغايرة، ويبدو من خلال الدلالة اللغوية أن الشرعة هي الطريق إلى الماء للاستسقاء ثم استعيرت للدين لدلالتها على الوضوح؛ إذ الدين الطريق الواضح، فالشرعة هي الطريق الظاهر في الدين[٤٥] ولا تختلف دلالة المنهاج كثيراً فهو الطريق الواضح البين وقد حدد العلماء الفرق بينهما من وجهين[٤٦]:

١. إن الشرعة تعني ابتداء الطريق لأنها من الشروع الذي يعني ابتداء الحدث أما المنهاج فهو معظم الطريق ومتسعه.

٢. الشرعة تعني الطريق سواء أكان واضحاً أم غير واضح أما المنهاج فلا يكون إلا واضحاً ويبدو هذا من باب العموم والخصوص فالشرعة تعني الطريق مطلقاً وخصص المنهاج بما هو واضح، وأكثر ما تستعمل الشرعة في الدين وما يتصل به من أحكام أما المنهاج فيستعمل في الطريق المستقيم وهذا ما ورد في سؤالات نافع بن الأزرق لابن العباس[٤٧].

ج. أجر = ثواب:

الأجر والثواب مفردتان وردتا في سياق القرآن الكريم، وكل منهما استعملت بدلالة محددة. ويبدو من خلال السياق الذي استعملت فيه اللفظتان أن لفظة الأجر قد استعملت هي ومشتقاتها

(٤٤) المصدر نفسه/ ١٦٨.
(٤٥) الإتقان ١/ ١٢٠.
(٤٦) دقائق الفروق اللغوية/ ١٦٥.
(٤٧) دقائق الفروق اللغوية/ ٢٢٥.

في عدد كبير من الآيات، في حين وردت لفظة (ثواب) في إحدى عشرة آية، ويقصد بالأجر الجزاء على العمل في الدنيا والآخرة وهو يتضمن معنى العوض قال تعالى ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[سورة الأعراف: ١١٣] ويبدو من خلال سياق استعمال هذه المفردة أن الأجر يكون في الدنيا كما في قوله تعالى ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[سورة النساء: ٢٤] كما يكون في الآخرة عن الأعمال الصالحة ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧١] وقوله ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[سورة آل عمران: ١٧٩].

أما الثواب فهو الجزاء بالخير عن الأعمال الصالحة قال تعالى ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [سورة المائدة: ٨٥].

وقد يستعار لفظ الثواب في الشر قال تعالى ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٣] قال أحد الدارسين (والثواب لا يستعمل في المنافع المادية أو الدنيوية كما يقع ذلك في الأجر وإنما غلب استعماله في العبادات وهو يصدر عن الله سبحانه وتعالى)[٤٨].

د. حمد = شكر:

ألفاظ تكرر استعمالها في عدد من الآيات القرآنية هي ومشتقاتها والفرق بين المفردتين أن الحمد يكون في التعظيم عن يد أو غير يد فقد اختص الحمد بالثناء على الله سبحانه وتعالى من جهة صفاته الذاتية ويكون على معروف أو غير معروف ويكون في السراء و الضراء فلا يحمد على مكروه سواه.

أما الشكر فيقع على نعمة خاصة لذا قيل أن الحمد يتناول الصفات أما الشكر فيأتي في مقابلة النعم التي يوليها الله تعالى لعباده ومن هنا كان الحمد أشرف مرتبة من الشكر[٤٩] وقد فرق العلماء بينهما فجعلوا الحمد عمل اللسان بالثناء على الله لذا يصدر بالقول في القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[سورة النمل: ٥٩] وقوله تعالى

(٤٨) المصدر نفسه/ ٢٢٧.

(٤٩) الرسالة التامة في فروق اللغة/ ١٩٤.

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [سورة النحل: ٩٣].

أما الشكر فعلى ثلاثة أضرب[٥٠]:

١. شكر القلب وهو تصور النعمة كوروده في معرض التفكر والتدبر قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾ [سورة النمل: ٩٣].

٢. شكر اللسان وهو الذي يرد في مقابلة جحود النعمة قال تعالى ﴿ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ ﴾[سورة لقمان: ١٢] وقال ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢].

٣. الشكر بعمل الجوارح قال تعالى ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا ﴾ [سورة سبأ: ١٣]. ومن المهم أن نذكر أن الحمد في القرآن يأتي ابتداءً أما الشكر فيأتي بعد ذكر النعم مما يدل على أن الحمد لمطلق الثناء والشكر يقع مكافأة لمن أولاك معروفاً.

(٥٠) الرسالة التامة/ ١٠٠.

الحقل الخامس

الألفاظ التي تدل على الزمن

تمثل الألفاظ الدالة على الزمن حقلاً كبيراً من الألفاظ الدلالية في اللغة، وقد استعمل القران الكريم طائفة من الألفاظ التي تدل على الزمن بمختلف تقسيماته وقد وردت في سياق الآيات القرآنية طائفة من الألفاظ التي تبدو في ظاهرها مترادفة أو متقاربة المعنى، وقد اخترنا منها ما كثر استعماله في النص المقدس؛ لبيان طبيعة استعمال القران لكل منها مع بيان الهدف من هذا الاستعمال والإشارة إلى الفروق الدلالية بينها.

١. سنه =عام:

(السنة) و(العام) من الألفاظ التي تدل على الزمان وكثير من الناس يجعلهما من المترادفات لكن استعمالها في السياق لا يدل على ذلك. وردت لفظه (سنة) في القران في عشرين آية منها سبعة مواضع مفردة، أما لفظه (عام) فقد وردت في عشر آيات؛ وقد أشار العلماء إلى الفروق الدلالية بين المفردتين السنة تحسب من أول يوم إلى مثله ولا يشترط أن يكون

فيها صيفاً وشتاءً، أما العام فهو ما تألف من صيف وشتاء وبهذا يكون العام اخص من السنة.

وفرق آخر هو أن (العام) في السياق القرآني اقترن بما فيه يسر وسهولة ورخاء في حين اقترن استعمال السنة بما يدل على الشدة والصعوبة وبهذا فسر قوله تعالى ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٤]. إذ يرى المفسرون أن ما عبر عنه بـ (السنة) كان يمثل صعوبة الصراع مع قومه وشدته أماما عبر عنه بالعام فيمثل القضاء على المعارضين.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [سورة المائدة: ٢٦] وقوله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٠] ومثل ذلك [سورة يوسف: ٤٣]، [سورة الكهف: ١١]، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ [سورة يوسف: ٤٩].

وتبقى المسالة نسبية فأكثر ما يستعمل لفظ السنة في الأمور الصعبة وأكثر ما يستعمل لفظ عام فيما فيه يسر وسهولة.

٢. اجل=مدة:

الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الشيء ومنه اجل الإنسان انتهاء حياته واجل الدين موعد استرداده وقد وردت لفظة الأجل في إحدى وخمسين آية، أما المدة فهي ما جعل بين شيئين بجعل جاعل وقد وردت في القران في آية واحدة، والعلاقة بين المدة والأجل علاقة عموم وخصوص فكل اجل مدة ولا ينعكس، وهذا يعني أن الأجل أكثر سعة من المدة في الدلالة يدل على ما ورد في القران الكريم من استعمال المفردتين قال تعالى ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٤] وقوله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [سورة القصص: ٢٩] وقوله ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢] ودلالة الأجل هنا هو انتهاء المدة وقد استعمل القران الأجل في دلالات هامشية أخرى ويتحدد معناها من خلال السياق الذي وردت فيه.

الحقل السادس

الألفاظ التي تمثل الجموع

استعمل القران الكريم طائفة من جموع التكسير للدلالة على معان مختلفة ويبدو من خلال الاستقراء أن القران الكريم يستعمل هذه الجموع بصيغتين لتحقيق أهداف دلالية يريد التعبير عنها فهو مرة يستعمل الجمع الدال على الكثرة، ومرة يستعمل الجمع الدال على القلة وأصبحت هذه المسألة من المسائل التي تلفت النظر عند الدارسين؛ وسنبين الفروق الدلالية التي تترتب على استعمال القران الكريم هذا الجمع أو ذلك.

١. أسْرى= اسارى:

وردت لفظة أسرى في آيتين هما قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٧] وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾[سورة الأنفال: ٧٠] أما لفظة (أُسَارَى) فقد وردت في آية واحدة هي قوله تعالى ﴿ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾[سورة البقرة: ٨٥].

والسؤال ما الفرق بين الصيغتين ولماذا عدل في سورة البقرة إلى الصيغة (أُسَارَى) ولم يستعمل أسرى.

ذكر علماء اللغة أن فعيل تجمع على فُعْلَى للدلالة على المرض والعاهات مثل جرحى وهلكى ومرضى وموتى[٥١] وجمعت أسير على أسرى لان الأسرى يعانون من القهر والإذلال فهم كمن فيه عاهة.

ويفرق العلماء بين استعمال أسرى كما في آيتي الأنفال واستعمال (أُسَارَى) كما في آية البقرة فهم يرون أن الأسرى يمثل من كانوا في أيدي القوم ولكنهم لم يشدوا بوثاقٍ ولم تربط أيديهم أو أرجلهم.

أما الاسارى فان فيها دلالة على القسوة وهم الذين كانوا في أيدي القوم وقد شدت أيديهم وأرجلهم وقيل إن الاسارى هم المأخوذون قهراً وغلبه[٥٢].

ويبدو من خلال السياق أن لفظة (أُسَارَى) فيها من الشدة والقهر والإيلام ما ليس في لفظه (اسرى) لذا استعملت فيها هذا الموضوع.

---

(٥١) دقائق الفروق اللغوية/ ٢٩٩ وينظر جامع البيان ١/ ٤٠.

(٥٢) دقائق الفروق اللغوية/ ٢٩٩.

٢. شداد -أشداء:

وردت لفظة شداد في ثلاث آيات هي قوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ [سورة التحريم: ٦] وقوله ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [سورة النبأ: ١٢]، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ [سورة يوسف: ٤٨] ولفظة أشداء وردت في آية واحدة في قوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وكلاهما جمع شديد، ويبدو من خلال سياق استعمال الصيغتين في الآيات الكريمة أن لفظة (شداد) التي وردت في سورة التحريم، وفي سورة النبأ وفي سورة يوسف وقعت وصفاً لأشياء محسوسه مادية فالسموات والسنين والملائكة أمور محسوسة، أما لفظه أشداء فقد جاءت للدلالة على الشدة المعنوية التي هي بمعنى القوة فقال أشداء على الكفار ورحماء بينهم فقرن الشدة التي بمعنى القوة بالرحمة وكلاهما معنوي(٥٣).

(٥٣) دقائق الفروق اللغوية/ ٣١٣.

٣. إخوة=إخوان:

استعمل القران صيغتين لجمع (أخ) هما إخوة وإخوان، وقد وردت الأولى في سبع آيات في حين وردت الثانية في إحدى وعشرين أية، ويبدو من خلال السياقات التي وردت فيها المفردتان أن لفظة (إخوة) وهي من جموع القلة يغلب استعمالها في اخوة النسب وهو ملائم لجمع القلة؛ لان الإخوة في النسب ليسوا بأعداد كبيرة ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾[سورة النساء: ١١] وقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٧] وكذلك في [سورة النساء: ١٧٦] و [سورة يوسف: ٥٨ -١٠٠] لكن هذا لا يعني أن هذه الصيغة اقتصرت على الإخوة في النسب إنما استعملت مع الإخوة في الدين قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

أما لفظة (إخوان) وهي جمع أخ أيضا فالغالب أنها تستعمل في الإخوة من غير النسب مثل إخوة العقيدة والدين والصداقة قال تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا

ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥] وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا ﴾ [سورة الحشر: ١٠] وهذا لا يعني الاقتصار على هذا الاستعمال إنما وردت صيغة (إخوان) مع أخوة النسب قال تعالى ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٥] ومثله [سورة التوبة: ٢٤]، ويبدو من خلال ما تقدم أن التفريق مبني على الغالب والأكثر وليس على إطلاقه.

٤. ذكور=ذكران:

تجمع لفظة (ذكر) على ذكور وذكران وقد استعمل الجمعان في القران الكريم فقد وردت لفظة (ذكور) في آيتين، آيات هي قوله تعالى ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ [سورة الشورى: ٤٩] وقوله ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٩] وقوله ووردت لفظة (ذكران) في آيتين هما قوله تعالى ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٦٥] وقوله ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ [سورة الشورى: ٥٠] وحيث ننظر في سياق الاستعمال القرآني نلحظ أن استعمال الذكور، فيه نوع من التعميم إذ يقع على كل ذكر ضد الأنثى فهو لا يقتصر على نوع محدد من الذكور أما لفظة (ذكران) ففيها نوع من التخصيص يضيف واحد من الذكور دون غيرهم[٥٤] والعلاقة بين اللفظين علاقة عموم وخصوص ذلك أن لفظ الذكور لفظ عام يشمل كل جنس من الأجناس أما لفظ (الذكران) فهو خاص بالإنسان وهو ما يؤيده سياق الاستعمال القران قال تعالى ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ [سورة الشورى: ٤٩ – ٥٠] يقول احد الباحثين (فلما ذكر الخلق جاء بلفظ الذكور لان الخلق يقع على كل ذكر ولما ذكر التزويج ومعناه الاقتران وهو أن تلد المرأة غلاماً فجارية ثم غلاماً فجارية.. فذكر الذكران إشارة إلى تخصيصهم بهذه

(٥٤) المصدر نفسه/ ٣١٣.

الحال من الولادة)[٥٥]. ويعزز هذا ما ورد في [سورة الشعراء: ١٦٥] أن خص الذكران بالإتيان.

٥. نسوة=نساء:

نسوة ونساء لفظان وردا في القران الكريم وكلاهما جمع امرأة، وقد استعمل لفظ نسوة في آيتين وفي سورة يوسف فقط هما قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ [سورة يوسف: ٣٠]، وقوله تعالى ﴿ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [سورة يوسف: ٥٠]، أما لفظة نساء فقد استعملت في سائر القران ووردت في أربع وخمسين آية، وحين ننظر إلى الميزان الصرفي للمفردتين نجد ان لفظ (نسوة) على وزن (فعلة) وهو جمع قله وهذا الأمر دفع احد الباحثين إلى القول (فجيء بالنسوة في قصة يوسف لأنهن كن معدودات قلن في امرأة العزيز ذلك)[٥٦].

ويبدو أن هذا ليس دقيقاً فقد استعمل القران لفظة نساء فيما هو قليل أيضا مثل خطابة لنساء النبي فقال يا نساء النبي وهن معدودات أيضا. قال تعالى ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢] وقال ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٠]، ويبدو من خلال السياق الذي استعملت فيه لفظة نساء أن التعبير بها جاء عاماً في عموم الجنس في حين استعملت لفظة (نسوة) في حدث خاص في سورة يوسف. وذهب بعض الدارسين إلى أن نسوة اسم جمع وجُمِعَ على نساء مثل قوم وأقوام؛ لذا نسب إليه قيل نسوي. ومن هنا جيء بالنساء لعموم الجنس في القران ولم يختص بنسوة معدودة كما في [سورة يوسف: ٦٤].

الخاتمة

إن ما تقدم يمثل جانباً من جوانب الإعجاز القرآني في استعمال الألفاظ في سياق الآيات القرآنية الكريمة وقد ضم البحث فروقاً دقيقة بين مجموعة من الألفاظ التي وردت في اللغة على أنها من المترادف غير أن الاستعمال القرآني له كلمة أخرى، فقد ظهر من خلال البحث أن هذه الألفاظ لا تبدو مترادفة من خلال

(٥٥) دقائق الفروق اللغوية/ ٣١٨.
(٥٦) المصدر نفسه/ ٣١٨.

الاستعمال في سياق الكلام؛ إذ لكل لفظ دلالة معيّنة يفرضها السياق ويعبر فيها عن معنى مقصود لا يؤديه غيره من الألفاظ الأخرى التي ترادفه في المعنى، ولو أردنا استبدال لفظ مما ورد في الآيات من الألفاظ التي تم اختيارها للدراسة لوجدنا أنفسنا عاجزين عن استبداله بلفظ مما هو بمعناه؛ لان الأسلوب القرآني له خصوصية في استعمال الألفاظ في الآيات الكريمة.

وهذا ما ثبت من خلال البحث إي إن الألفاظ التي قيل عنها أنها مترادفة في اللغة لا تبدو كذلك في القرآن الكريم.

موارد البحث

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القران –السيوطي ٩١١ هـ –مطبعة البابي الحلبي–مصر ط٣ ١٩٥١.

٢. البحر المحيط –أبو حيان الأندلسي ٧٤٥ هـ–دار إحياء التراث العربي– بيروت ط٢ –١٩٩٠.

٣. البيان والتبيين – الجاحظ ٢٥٥ هـ– تح عبد السلام هارون. مصر.

٤. الترادف في اللغة –حاكم مالك الزيادي –دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠.

٥. الجامع لإحكام القران – القرطبي ٦٧١ هـ –تحقيق احمد عبد الحليم –دار الشعب –القاهرة ط٢ ١٣٧٢.

٦. دقائق الفروق اللغوية –محمد ياس خضر الدوري –رسالة دكتوراه جامعة بغداد –كلية التربية ٢٠٠٥.

٧. دور الكلمة في اللغة –ستيف اولمان–ترجمة كمال محمد بشر –مكتبة الشباب–القاهرة ١٩٧٥.

٨. الرسالة التامة في فروق اللغة العامة– الشيخ جعفر الكرباسي –المستقبل للكمبيوتر –نجف –د –ت.

٩. روح المعاني في تفسير القران والسبع المثاني –الالوسي ١٢٧٠هـ –دار إحياء التراث العربي –بيروت د –ت.

١٠. صحيح البخاري –الإمام البخاري ٢٥٦هـ –دار الفكر بيروت ١٩٨١.

١١. علم الدلالة –احمد مختار عمر –مكتبة العروبة –الكويت ١٩٨٤.

١٢. علم الدلالة التطبيقي –د. هادي

نهر-دار الأمل للنشر والتوزيع- الأردن ط١ -٢٠٠٧.
١٣. كتاب سيبويه -سيبويه ١٨٠هـ -تح عبد السلام هارون -بيروت ط٣- ١٩٨٤.
١٤. كتاب العين -الخليل بن احمد ١٧٥هـ -تح د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي -مؤسسة دار الهجرة ١٤٠٩.
١٥. لسان العرب -ابن منظور ٧١١هـ- دار صادر بيروت ط١ ١٩٦٨.
١٦. المزهر في علوم اللغة وأنواعها- جلال الدين السيوطي -تح فؤاد منصور-دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٨.
١٧. معجم مقاييس اللغة -ابن فارس ٣٩٢ هـ -عبد السلام هارون -البابي الحلبي -مصر ١٣٧١.
١٨. المفردات -الراغب الأصفهاني ٤٢٥هـ -تح صفوان عدنان -دار القلم -دمشق ١٤١٢.